

إنه رسول الله ﷺ

بِأَمْرِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
مَا تَدْرِي مَا تَدْرِي مَا تَدْرِي

أشهد

أشهد

بِمحمد رسول الله ﷺ

أحمد مصطفى

مقدمة

الحمد لله ...

والصلاة والسلام على رسول الله ...

وبعد

فكل المسلمين يقولون من قلوبهم "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله" ولكن؛ كم من المسلمين على علم بتلك الشهادة وما تحمله من مقتضيات وما تشير إليه من معاني، وما يلزمها من واجبات؟!!

كثير من العلماء أفردوا لكلمة التوحيد "لا إله إلا الله" ومقتضياتها ولوازمها كتباً ومجلدات، وكثيرون كتبوا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطاعة والتوقير والمحبة. لكنني وجدت كثيراً من المسلمين لا يعلمون حقوق "أشهد أن محمداً رسول الله" إلا القليل منها، ولا يدركون معناها إلا النذر اليسير، حتى إنهم لا يدركون ما تحمله كلمة (رسول) من المعاني الجسام.

إن شهادة "أن محمداً رسول الله" تحمل من الحقوق والمعاني أكثر بكثير مما يعلمه كثير من الناس، ومن أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو مجرد مبعوث من الله ليلبغهم رسالته ودينه.

ويأتي هذا الكتيب محاولة لبيان معنى هذه الشهادة للناس لعلهم يقومون بحققها بعد العلم بها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف: (أحمد مصطفى)

كلمة "أشهد"

"أشهد" ليست مجرد كلمة يعني بها الشخص الموافقة والاعتراف، وإلا كان المطلوب ممن يعلن إسلامه أن يقول "وأعترف أن محمدا رسول الله"، ولا تعني أيضا "رأيت" لأنها تعني ما تراه العين فقط أو تعني أنه مجرد رأي يراه الإنسان.

وإنما "أشهد" كلمة تعني أنك تتحمل المسؤولية الكاملة عما قلت إنك شاهدته رأي العين، أو أيقنت بوقوعه ك رأي العين، ومن أجل ذلك جاء استخدام لفظ "الشاهد" ولم يستخدم لذلك لفظ "الرأي" أو "الحاضر الواقعة" وإنما استخدم لفظ الشاهد لما تدل عليه من المسؤولية والتبعة عليه في كل من ينطق به.

فالشاهد الذي يشهد في واقعة يُسأل عنها لا بد له أن يكون قد عاينها بنفسه، ولا بد له أن يشهد بالحق فيها، ولا بد له أن يكون واعيا تماما لها، ومطمئنا تماما لما يقوله عنها، وعلى يقين تام مما يقوله عنها وغير متشكك فيما رآه أو سمعه منها وشهد به، ومسئولا تماما عنها وعن صدقه فيها، وليس مجبرا عليه، وإلا، فلا تقبل شهادته بأي حال....

ومن ذلك أيضا اشتق لفظ "شهيد" وهو الذي يقتل في سبيل الله، لأنه يأتي يوم القيامة شاهدا على من قتله وظلمه.

و"الشهيد" أيضا اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه الحاضر المُشاهد والمطلع على كل شيء من السرائر والعلانية، وكفى بالله شهيدا.

فكلمة "أشهد" تحمل من الثقل والمسؤولية ما ينبغي لقائلها أن يتبصر لما بعدها، ويتنبه للحقوق الواجبة عليه تجاهها بعد قولها لأنه سيسأل عنها ومحاسب عليها إن قصر فيها.

وقولك أشهد أن محمدا رسول الله، تعني أنك أيقنت أن محمدا رسول الله يقينا ك رأي العين على إرساله من رب العالمين، وأنت مسئول عن قولك هذا، ومسئول عن القيام بجميع حقوق تلك الشهادة، وأنت محاسب عليها وعلى تضييع أي شيء منها.

فهل يدري كل مسلم حق تلك الشهادة، وما تحتويه من معانٍ، وما تحمله من واجبات؟!

كلمة (رسول !)

هذه الكلمة التي لم تعد تستخدم في عصرنا الحديث إلا متصلة بالدين والرسل الذين ابتعثهم الله للناس. ولم تعد تستخدم في غير ذلك مما كان معروفا من قبل، حيث استبدلت مكانها بالسفراء والقناصل، وبسبب أن هذه الكلمات أصبحت مقتصرة على الدول لم يعد الناس يعرفون من كلمة "رسول" إلا معناها الظاهر وما تدل عليه من أنه مجرد مبعوث برسالةٍ ممن أرسله إلى المرسل إليه، وأكثر الناس لا يدركون من معنى "رسول الله" إلا أن الله اختار شخصا ليعثه للناس مُبلغا عنه بدينه وداعيا لهم ليعبدوه.

لقد كان الناس قديما وحديثا يتبادلون المكاتبات والرسل، وكان الملوك والأمراء يبعثون بالرسل إلى بعضهم حاملين خطاباتهم برغباتهم وتحالفاتهم وهداياهم أو اعتراضاتهم وتهديداتهم. وكان اختيار الرسول من الأهمية بمكان فيما يتعلق بالمهمة التي من أجلها أرسل هذا الرسول.

فإن كان من أجل المفاوضات فسيكون الرسول من أهل السياسة والذكاء والمساومة؛ لقد بعثت قريش عدة رسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل صلح الحديبية عندما جاء مكة للعمرة فمنعوه، فلما بعثوا سهيل بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أراد القومُ الصلح. فقد كان عمرو بن سهيل من أهل المفاوضات، ولم يُقَصِّرْ عمرو في مفاوضاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ منه ما ظن أنه انتصار لقريش، ولم يتنازل حتى عن ابنه أبا جندل الذي جاء مستغيثا بالمسلمين بعد إبرام الاتفاق وقد تهيأوا لكتابة العهد بينهم، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبعد بصرا وبصيرة، فما من شيء أخذه عمرو بن سهيل لقريش في العهد إلا انقلب عليهم وكان قوة للمسلمين.

وإن كان من أجل الإنذار بالحرب والتهديد فسيكون اختيار الرسول معبرا عن القوة والبأس والحزم وخاصة مع من لا يفهمون إلا لغة القوة.

أراد سعد بن أبي وقاص أن يبعث برسل إلى كسرى فارس إنذارا له بالحرب وداعيا له بالإسلام، فبعث له بأربعة عشر من فوارس المسلمين، سبعة منهم من أهل الرأي والمشورة وسبعة من أهل المهابة والقوة ورجاحة العقل، كل فارس منهم بألف، حتى ألقى مظهرهم الخوف في قلوب من رآهم من الناس، وهم:

النعمان بن مقرن- صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقائد الوفد، وهو أمير قبيلة مزينة، وبطل من أبطال الفتوحات في العراق وفارس وقائد المسلمين في معركة نهاوند بعد ذلك.

حملة بن جوية- صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد من سادات قبيلة كنانة.

المعنى بن حارثة- أخو المثني بن حارثة الشيباني، وهو سيد من ساداتهم وهو عملاق من العمالقة.

عطارد بن حاجب- صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطيب قبيلة تميم العربية وأبوه حاجب بن زرارة الذي رهن قوسه عند كسرى فارس، وقد جاءه عطارد ابنه بعد ذلك ليسترد قوس أبيه، وهو الوحيد في الوفد الذي كان قد دخل قصر المدائن قبل ذلك.

سهيل بن عدي- من قادة الفتوحات الإسلامية في فارس والعراق.

فُرات بن حيان- صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيد من سادات قبيلة بكر بن وائل وهو من أعلم الناس بالطرق.

حنظلة بن الربيع- كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أشهر خطباء العرب في الجاهلية والاسلام

المغيرة بن زرارة- صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعيم من زعماء قبيلة أسد ومعروف بفصاحة لسانه.

بسر بن أبي رهم- أحد أبطال معركة الوجة مع خالد بن الوليد.

عاصم بن عمرو التميمي- أخو القعقاع بن عمرو التميمي، وكان من أبطال معركة القادسية ومن قادة الفتوحات الإسلامية.

عمرو بن معدي يكرب- فارس العرب العملاق المشهور، وصاحب سيف الصمصامة أشهر سيف في العرب.

المغيرة بن شعبة- الداهية المعروف وصاحب وحارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية.

الأشعث بن قيس - صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وملك كنده قبل الإسلام.

الحارث بن حسان - صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. سيد من سادات بني شيبان بن وائل.

واختار سعد لهم أجود الخيول العربية الأصيلة، ولبسوا أفضل الملابس، فلما دخلوا بوابة المدائن خرج أهل المدائن ينظرون إليهم؛ تقول إحدى نساء الفرس بعدما أسلمت:

"فوقفنا ننظر إليهم، والله ما رأينا أربعة عشر مثلهم قط يُعادلون بألف، وإن خيولهم لتنفث غضبا وتضرب في الأرض، ووقعت في قلوبنا المهابة، وتشاء منا!!"

وإن كان الرسول من أجل المفاوضات والإنذار بالحرب في آن واحد فسيكون اختيار الرسول مناسبا لذلك، فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختار عمرو بن العاص لبيعته إلى أهل عمان، وكان على رأسها أخوين ملكين، فاستخدم دهاءه وحسن سياسته معهما حتى استجابا له وبايعاه على الإسلام. والاعتداء على الرسول كالاغتداء على من أرسله.

ولقد كان قديما يُعَدُّ الاعتداء على الرسول أو قتلهم بمثابة إعلان حرب، وإهانتهم يعتبر إهانة لمن أرسله مع منتهى الاستهانة به والإفلال من شأنه. ولذلك قرن الله بينه وبين رسوله في الإيذاء في القرآن، فقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا } (الأحزاب: ٥٧).

والرسول يقوم مقام من أرسله فيما فوضه فيه؛ وإلى الآن يحدث ذلك في عصرنا الحديث. فقد يُفَوَّضُ السفير أو المبعوث الخاص في أداء مهمة ما، وله فيها الحرية الكاملة في أن يتخذ ما يشاء من قرارات. ولا يكون ذلك إلا إذا حاز على الثقة الكاملة ممن أرسله من ملك أو رئيس وأنه لن يحيد عما يرضيه، وهذا المبعوث أو السفير يعلم تماما ما يُرضي هذا الملك أو الرئيس.

والله سبحانه جلت حكمته هو العليم الخبير، لا يصطفي من خلقه إلا أطهرهم وأزكاهم لحمل رسالته للناس، ولذلك كان الأنبياء هم خيرة خلقه، وهم المعصومون بالله من الذنوب والأهواء. ولما كان ذلك، كان كل كلام رسول الله تشريعا من عند الله، ورسول الله فوق ذلك مؤيد بالوحي دائما ولا ينطق عن الهوى، فكل أوامره ونواهيه كأنها من عند الله العلي العظيم.

واختيار الرسول يدل على من أرسله؛ تقول العرب: ثلاثة أشياء يدلون على عقل صاحبها أو على حكمته: الرسول والكتاب والهدية.

ولذلك فإنك لن تجد رسل الله إلا في أعلى درجات السمو في الأخلاق والإيمان والعبادة، ولا يمكن أن يكون فيهم عيبا في الخلق أو نقصا في الدين، فهم اختيار واصطفاء العليم الخبير.

ومكانة الرسول تبعا لمكانة من أرسله؛ وإلى الآن فمفسر أو مبعوث دولة عظمى ليس كسفير أو مبعوث دولة صغرى في مكانته ومعاملته من الدولة التي تستضيفه أو تستقبله. وكلامه ونصائحه ليست مثل غيره، بل إن نصائح الدول العظمى التي بالطبع تكون عن طريق سفيرها أو مبعوثها تسمى في عرف السياسة بالنصائح الملزمة.

كل ما سبق شيء مما تحمله كلمة "رسول" من معاني بين الناس وبين الأمم والملوك قديما. ولم يكن اختيار الرسل يتم هباءً، فإن اختيار الرسول هو أول ما يعبر عمن أرسله ومعبرا عما أرسل من أجله.

ولذلك فإن العرب عندما جاءهم من يخبرهم أنه "رسول الله" كانوا يعلمون تماما ما تحمله تلك العبارة من ثقل ومن دلالة على لوازمها. ومن ضمن ذلك تعظيم هذا الرسول فوق كل أحد لأنه رسول الملك القدوس العلي العظيم.

وهذا ما حمل بعض المشركين على عدم الإيمان، وحملهم الحسد والاستعلاء من أن يتنزل هذا القرآن وأن تنزل هذه الرسالة على رجل لا يعد بينهم من السادة والأشراف، وإن كان معروفا عندهم بشرف نسبه {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} (الزخرف: ٣١)، فرد الله عليهم فقال سبحانه {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا ۚ وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} (الزخرف: ٣٢). فكان مما منع بعض المشركين من الإسلام حسدُهم من هذا الشرف وهذا التعظيم الذي ناله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمنوا لو أوتوا مثل ما أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحودوا مثل هذا الشرف ثم يؤمنوا، وقد جاء ذكر ذلك في القرآن أيضا حين قال سبحانه: {وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ..} (الأنعام من الآية: ١٢٤) فرد عليهم المولى سبحانه وتعالى: {.. اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} (الأنعام من الآية: ١٢٤).

إنه رسول الله ﷺ

كان المغيرة بن شعبة فاتكا في الجاهلية، وكان قد قتل ثلاثة عشر رجلا من بني مالك غدرا كانوا قد وفدوا معه على المقوقس في مصر، وأخذ أموالهم التي أهداها لهم المقوقس وقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلْ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ^١** وفي رواية: **أَمَّا إِسْلَامُكَ فَتَقَبَّلْهُ، وَلَا آخِذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا، لِأَنَّ هَذَا غَدْرٌ، وَلَا خَيْرَ فِي الْغَدْرِ^٢**. وكان إسلامه عام الخندق.

وكادت الحرب أن تقع بسبب ما فعله المغيرة لولا أن تحمّل عمه عروة بن مسعود ديّات الرجال الذين قتلهم، وكانت عظيمة، فسعى في أدائها وقتا طويلا.

فلما كان عام الحديبية بعثت قريش بعروة من مسعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصده عن دخول مكة، وعروة هذا من سادات ثقيف، وقيل أنه كان المقصود بقول المشركين الذي جاء في القرآن {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ} (الزخرف: ٣١)، فهو من كبار السادات.

فجاء عروة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُكلمه، وكان يحس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يكلمه، -وكانت هذه عادة لا يفعلها إلا النظير مع النظير وعروة يرى نفسه سيد من سادات العرب- والمغيرة بن شعبة واقف إلى جنب رسول الله مُقنعا في الحديد وعروة لا يعرفه، فكان كلما أراد أن يمد يده إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المغيرة يقرع يده بنعل السيف ويقول له: كف يدك قبل ألا تصل إليك. فلما آذاه قال: من هذا يا محمد، ما أفضه وأغلظه؟؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ابن أخيك المغيرة بن شعبة.

فقال له عروة بن مسعود: يا غُدر، وهل غسلت عني سوءتلك إلا بالأمس.

فلما قال له عمه عروة بن مسعود ما قال لم يكذبه المغيرة ولم يجحد ما قال ولكنه في نفس الوقت لم يأبه به.

ومع عظيم ما اقتترفه المغيرة في الجاهلية، وعظيم فضل عروة عليه وهو عمه، لم يلتفت المغيرة لذلك ولم يأبه لعروة ولا لفضله عليه ولا لعمومته ولا أنه سيد من سادات العرب، لأن ما يفعله عروة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم وأشد، فما كان لعروة ولا لغيره أن يجلس أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس النظير فضلا عن أن يمد يده إلى

١- البخاري- ج ٣- ص ١٩٣ - ح رقم (٢٧٣١) . ت محمد زهير بن ناصر الناصر . دار طوق النجاة.

٢- سير أعلام النبلاء- ج ٣- ص ٢٥- ت: شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة

لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان لسان حال المغيرة بما فعله مع عمه كأنه يقول **إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ** وإن كان ما كان مني من جرم وكان منك من فضل وكائنا من تكون.

وهو موقف فيه ما فيه من الإيمان الصلب والتعظيم والتوقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم من واحد من صحابته الكرام الذين اختارهم الله لصحبته رضي الله عنهم أجمعين. فكان لسان حاله رضي الله عنه يقول: يا عروة: رسول الله أعظم مِنِّه وفضلا عليَّ مما تمن به علي.

رسول الله أعظم مقاما من أن ألتفت وأعمل حسابا لمنتك علي.

إنه رسول الله؛ ملك الملوك ومالك الأملاك القوي العزيز الجبار العلي العظيم.

إنه رسول الله؛ رب العالمين ورب السموات ورب الأرض ورب كل شيء وليس مثل أي رسول لأحد من الناس.

إنه رسول الله، وأنت ما زلت تأبى أن تطيعه وتتبع ما أرسله الله به، وكفى بذلك سوءة فيك.

إنه رسول الله، وأنت وإن كنت من سادة ثقيف، لكنك إليه واحد من غمار الناس فكيف تمد يدك ناحيته.

إنه رسول الله وأنت تجلس أمامه وتكلمه بلا توقير، فكيف لا أضرب على يدك وأن تمدها إلى لحيته.

إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ ولو لم يكن للمغيرة غير هذا المقام في السيرة وجهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفاه ذلك شرفا في الإسلام.

(صلى الله عليه وسلم)

ما زالت شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتاج إلى دراسة برغم كل ما كتبه السابقون واللاحقون، حتى إن المستشرقين الذين حاولوا دراسة شخصيته صلى الله عليه وسلم وبرغم كفرهم وعداوتهم لم يستطيعوا أن يخفوا إعجابهم وانبهارهم بتلك الشخصية الفريدة والاستثنائية التي أقامت دولة الإسلام، واستطاعت أن تقود تلك الأمة المتفرقة والمتصارعة فيما بينها تصارع الوحوش في الغابة لتصبح أمة واحدة.

لقد كان من المهم دراسة شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة كما هو مهم أيضا النظر إليها وهي تحمل رسالة رب العالمين.

لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته رجلا عاديا أو مجهولا أو مغمورا، بل كان أفضل شباب ورجال قريش على الإطلاق، وقد نال ذلك بأخلاقه وشخصيته، ولم ينل ذلك بماله أو بعصيته أو بقوته أو برغبته في الظهور والتصدي للرئاسة مثل غيره، مع أن كل ذلك كان في متناول يديه إن حرص عليه.

ويظهر ذلك جليا على لسان واحد من ألد أعدائه وهو النضر بن الحارث -الذي قُتل فيما بعد يوم بدر كافرا- حينما أرادت قريش أن تتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر حتى يشوهوا صورته أمام العرب فلا يؤمنون بما جاء به، فقال معترضا عليهم:

"قد كان محمد فيكم غلاما حدثا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر! لا والله ما هو بساحر" ^٣

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم فيهم فوق مستوى الشبهات، وكانت قريش كلها تثق فيه وفي رجاحة عقله وأمانته المطلقة حتى أصبح بينهم مستودع الأمانات. وحينما تخدمت الكعبة بسبب سيل أصابها قسّمت قريش بناءها بين قبائلها، كل جهة لقبيلة، وعندما وصلوا لوضع الحجر الأسود اختلفوا لمن

٣- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر البيهقي-المقدمة-ص٤٥. دار الكتب العلمية - بيروت.

سيكون شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، لعلمهم بشرف هذا الحجر على سائر أحجار الكعبة، وقد كانوا يتنافسون في الشرف أشد من تنافسهم في المال والقوة، وكادوا أن يقتتلوا فيما بينهم طلبا لنوال شرف رفع الحجر الأسود ووضعه مكانه، ثم تداعوا لمن اقترح عليهم أن يُحْكَمُوا بينهم أول من يدخل عليهم، فكان محمد صلى الله عليه وسلم بقدر الله هو الداخل عليهم، فلما رأوه قالوا: (هذا الأمين رَضِينَا، هذا مُحَمَّدٌ) فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ، قَالَ: هَلُمُّ إِلَى ثَوْبَا، فَأُتِيَ بِهِ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ -يعني الحجرَ الأسودَ- فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَتَأْخُذَ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ثُمَّ: ارفَعُوهُ جَمِيعًا، ففَعَلُوا، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ.^٤ ورضوا جميعا بحكمه.

وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم مشاركا لقومه في كل قضية تصب في مكارم الأخلاق وتقتضيها الرجولة والمروءة، فشهد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته حلف الفضول: وهو حلف تداعت إليه بطون من قريش، فتعاهدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وقد قال صلى الله عليه وسلم عن هذا الحلف بعد ذلك: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرُ النَّعَمِ وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ».^٥

وشهد محمد صلى الله عليه وسلم حرب الفجار مع أعمامه وقريش، وهي حرب كانت في الجاهلية، وقد اقتضت الرجولة والمروءة أن ينصرهم بعدما أصرت قبائل قيس عيلان والتي منها هوازن على حرب كنانة والتي منها قريش. ورُوي أن النبي قال: «ما سُرِنِي أَنِّي لَمْ أَشْهَدَهُ، إِنَّهُمْ تَعَدَّوْا عَلَى قَوْمِي، عَرَضُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْفَعُوا إِلَيْهِمُ الْبَرَاضَ صَاحِبَهُمْ فَأَبَوْا».^٦ وكان البراض هذا قد قتل رجلا من هوازن.

وقد بلغ محمد صلى الله عليه وسلم الغاية في كل مكارم الأخلاق؛ فقد كان وفيا في مواقف لا يُنتظر فيها الوفاء من صاحبها إلا ممن لا يقبل من نفسه أن يُخلف كلمة أعطاها لإنسان وإن أخلف هذا الإنسان مواعده.

٤- السيرة النبوية لابن هشام-ج١-ص١٩٧-ت: السقا. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٥ السنن الكبرى للبيهقي-ج٦-ص٥٩٦-ح رقم 13080-ت: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٦ ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ل محمد لطفي جمعة-ج٤-حرب الفجار.

عن عبدالله بن أبي الحمساء: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ، فَتَسَيْتُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ: «يَا فَنَى، لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَ ظَرُكَ».^٧

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم في كمال من الأخلاق كلها لا يدانيه فيها أحد من الناس.

تقول عنه السيدة العظيمة وأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لما أتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم خائفاً أول ما نزل الوحي عليه: "وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ"^٨

ولم يكن محمداً-صلى الله عليه وسلم- يُحِبُّ الشَّعْرَ، ولم يثُلْهُ يوماً، وكان يكره الخمر أيضاً ولم يشربه قطّ، وكره النبيّ -صلى الله عليه وسلم- عبادة الأصنام والتمسّح بها منذ نعومة أظفاره، فيقول عن اللات والعزى عندما استحلّفه أحدهم بها: لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئاً قط.

هذا هو محمد الصادق الأمين الوفي الكريم الشهم الشجاع صاحب العقل الراجح والبصيرة والمروءة الذي اصطفاه الله ليكون خاتم رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

٧- سنن أبي داود-ج ٤ - ص ٢٩٩ - ح رقم (٤٩٩٦). ت محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

٨- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر البيهقي-ج ٧-ص ٥٧. دار الكتب العلمية - بيروت.

حق كلمة

”أشهد أن محمداً رسول الله”

إذا علم المسلم مقدار تبعة الشهادة وكلمة "أشهد"، وعلم ثقل كلمة "رسول الله" علم حق تلك الشهادة حين ينطق بها وعلى كل من يقولها.

فالنطق بتلك الشهادة التي يرددها كل مسلم في صلاته على الأقل تسع مرات يومياً في تشهده تقتضي أن يعلم أولاً مقدار ما يقع على عاتقه من تكاليف تجاهها، وما تحمله تلك الكلمة من مسؤولية. فالشهادة كما قلنا ليست كلمة لا تعني سوى الإقرار أو الاعتراف وفقط، بل هي مسؤولية ستسأل عن حق القيام بها، وعن عمل القلب والجوارح بتصديقها يوم القيامة أمام رب العالمين.

وإن أول حقٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آمنت به هو تعظيمه وتوقيره، لأن الذي أرسله هو الله عز وجل. وهذا الحق لا يُقبل فيه زلل ولو لمرة واحدة. وهو حقٌ لرسول الله قبل أن يتكلم بأمر أو نهي.

ومن حق رسول الله أن يُصدق وأن يطاع في كل ما يبلغ به عن ربه، لأن الله قد اصطفاه على الخلق، وإن اتهمه بالكذب اتهم لعظيم حكمة الله فيمن اختاره لحمل رسالته إلى الناس، لذلك يجب تصديقه وطاعته في كل ما يُبلغ عن ربه، وفي كل ما يأمر به دون اعتراض.

وتستلزم الشهادة أيضاً محبته، لأن الله اصطفاه، واصطفاه الله له ترقية له على الخلق أجمعين، فهو المُزكى والطيب المطيب، وهو المبعوث رحمة للعالمين، فكيف لا يُحب وما بُعث إلا لإنقاذك من نار كدت تقع فيها، وهو أَرَأف بك من أبيك وأُمك.

ويُتبع كل ما سبق الاقتداء به صلى الله عليه وسلم، فما من أحد خير منه وأعظم يمكن أن يكون قدوة للناس ويمكن أن يتأسوا به ويقلدوه.

هذه هي أهم حقوقه صلى الله عليه وسلم التي تسقط الشهادة إذا ضُيع أحدها، وتلك الحقوق هي ما تحمله تلك الكلمات التي تنطق بها في تشهدك حين تقول "وأشهد أن محمداً عبده ورسوله"، وكثيرٌ هم من ينطقونها دون أن يفكروا في ثقل ما تحمله من واجبات وحقوق....

تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن أول حقٍ لرسول الله أن يُعظم وأن يُوقر، لأنه رسول رب العالمين؛ الإله الواحد، مالك الملك ومملك الملوك ورب السموات والأرض، الخلاق العليم الذي لا يخلق من عَدَمٍ سواه، وهو القوي الجبار القهار الذي قهر الطغاة والظلمة والمتكبرين، وخسف بهم وأغرقهم وأذاقهم العذاب الأليم، وهو الرحمن الرحيم الرؤوف الكريم الذي يجزي على الحسنة عشرة إلى سبعمائة ضعف، ويزيد بفضلته لمن يشاء.

عن ابن عمر أن رسول الله - - قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر: ٦٧) وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: "يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ" فَجَفَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا: لَيَحْرَنَّ بِهِ " ٩ فهو الله العلي العظيم الذي من خشيته ترتعد الملائكة. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي بِالْمَلَا الْأَعْلَى، وَجَبْرِيلُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) ١٠

وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي اصطفاه الله على سائر الخلق ليكون النبي الخاتم الذي لا نبي بعده ولا رسول، وبه تمت كل الرسالات.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. ١١

وقال النبي ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَنِي، وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا، فَجَعَلَهُمْ لِي وُزَرَءَ وَأَنْصَارًا وَأَصْهَارًا، فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ. ١٢

٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل - ج ٩ - ص ٣٠٣ - ح رقم (٥٤١٤) - ت: شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة.

١٠ - المعجم الأوسط للطبراني - ج ٥ - ص ٦٤ - ح رقم (٤٦٧٩) ت: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. دار الحرمين - القاهرة

١١ - صحيح مسلم - ج ٤ - ص ١٧٨٣ - ح رقم (٢٢٧٦) - ت محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٢ - السنة لأبي عاصم (المتوفى: ٢٨٧هـ) - ج ٢ - ص ٣٨٤ - ح رقم ١٠٠٠ - ت: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت

فكيف لا يُعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعظيم من أرسله وهو الله عز وجل، وكيف لا يُعظم لاصطفاء الله له، وكيف لا يُعظم لعظيم خُلِقَ وقد قال الله تعالى فيه (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤)، وكيف لا يُعظم لعظيم نسبه وشرفه وهو من ولد إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، وقد اصطفاه الله من خيار الناس.

فتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره أصل في معنى وحق "أشهد أن محمدا رسول الله"

والله قد أمر بتعزيه وتوقيره، فقال سبحانه: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (الفتح: ٨ - ٩)

ولقد كان يعي ذلك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول لحظة كانوا ينطقون فيها بالشهادة، فهذا عمرو بن العاص بعد أن قضى دهرًا طويلًا في عداوة رسول الله والمسلمين ولم يُسلم إلا بعد الحديبية، إذا به بعد الشهادة لا يُطبق النظر لرسول الله إجلالًا له.

يقول رضي الله عنه: «وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ»^{١٣}.

وكان كل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على درجة عالية جدا من التعظيم لرسول رب العالمين، وأجمل من وصف شأهم في ذلك عروة ابن مسعود الثقفي رضي الله عنه حين بعثته قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل صلح الحديبية وقبل أن يُسلم، فلما رجع إلى قريش قال: «أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّيْتُ خُفَاةً إِلَّا وَقَعْتُ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ حَفَظُوا أَصْوَاهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحْدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ»^{١٤}.

١٣ - صحيح مسلم - ج ١ - ص ١١٢ - ح رقم (١٢١) - ت: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤ - البخاري - ج ٣ - ص ١٩٣ - ح رقم (٢٧٣١). ت: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة.

وروى أسامة بن شريك قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ»^{١٥}

وأما عن حال التابعين بعد موته صلى الله عليه وسلم:

سئل الإمام مالك رحمه الله تعالى: متى سمعت من أيوب السخيتاني؟ فقال: حج حجتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت، وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه.

وروى مصعب بن عبد الله فقال: كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقليل له يوما في ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم عليّ ما ترون، لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه، وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة.

ومما يجب تعظيمه وتوقيره؛ تعظيم سنته وحديثه؛ وكان بعض التابعين يرى أن رفع الصوت في مجالس الحديث كرفع الصوت عند النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الحديث حديثه. قال حماد بن زيد رحمه الله تعالى: كنا عند أيوب السخيتاني فسمع لغطا فقال: ما هذا اللغط؟ أما بلغهم أن رفع الصوت عند الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كرفع الصوت عليه في حياته.

كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج ليحدث الحديث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوة، ومشط لحيته، فقليل له في ذلك، فقال: أوقر به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جاء عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أنه سئل عن حديث وهو مضطجع في مرضه فجلس وحَدَّثَ به، فقليل له: وددت أنك لم تتعن، فقال: كرهت أن أُحَدِّثَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع، وسئل ابن المبارك رحمه الله تعالى عن حديث وهو يمشي فقال: ليس هذا من توقير العلم.

١٥ - سنن أبي داود - ج ٤ - ص ٣ - ح رقم (٣٨٥٥). ت. محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

فتعظيم السنة والحديث لا ينفكان عن تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي يغيب عن أنفس كثير من المسلمين، ويقعون في ضده دون أن يشعروا، وفي ذلك تضييع لذلك الركن الواجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أنهم يحملون في قلوبهم تعظيما لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمثلا مما هو منتشر بين الناس ولا يدرون أنه من المصائب التندر على النساء بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ)^{١٦}، أو استخدام الحديث في التنقيص منهن، ولم يكن ذلك أبدا مقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأول الحديث يقول (وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ...)، ومثل ذلك أيضا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ)^{١٧}، فالتندر بهذا الحديث أو ذاك مما هو منتشر بين الناس وبين الملتزمين ولا يعلمون أنه استهانة برسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن من تعظيمه تعظيم كلامه.

ومن تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعظم شأنه في كل شيء يتصل به، فلا يُتكلم عنه إلا على وجه الحب والتوقير، ولا يتناول جنبه إلا على وجه التعظيم، وكل ما عدا ذلك يُعد انتقاصا منه واعتداء على جنبه وجرحا لتلك الشهادة التي ينطقها كل مسلم، كما حدث وكُتب يوما في إحدى الصحف الساقطة عنوانا "هل مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزائدة الدودية". فمثل هذا يُعد من سوء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من تلك المقالات التي لا فائدة منها في الدين والدنيا إلا اجتذاب القراء وإثارة الخلافات.

١٦- (رواه مسلم - كتاب الرضاع - 18 باب الوصية بالنساء - حديث رقم ١٤٦٨/٦٠)

١٧- (صحيح البخاري - كتاب الحيض - باب ترك الحائض الصوم - حديث رقم ٣٠٤)

طاعة رسول ﷺ صلى الله عليه وسلم

إنه ما من نبي إلا قال لقومه: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} (الشعراء: ١٠٨)، ويقول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} (النساء: ٦٤).

وإنما كان اتباع الرسول واجبا، وطاعته فرضا لأن طاعته وطاعة الرسل جميعا جاءت من الحق سبحانه وتعالى، ولأنه لا ينطق عن الهوى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (النجم: ٣-٤)، وهو المكلف بالبلاغ عن رب العزة كلامه وأوامره ونواهيه، وما دام كل شيء يعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من وحي الله تعالى فطاعته من طاعة الله عز وجل، ولذلك قال الله تعالى: {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} (النساء: ٨٠). وقال تعالى: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} (النور: ٥٤).

وقد قرن الله بينه وبين ورسوله في الطاعة فقال سبحانه: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ} (النساء: ١٣)، وفي المعصية فقال سبحانه: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ} (الجن: ٢٣)، وفي الرضا فقال سبحانه: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ} (التوبة: ٦٢).

وقد أمر بطاعته في كل أمر ونهي، فقال سبحانه {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} (الحشر: ٧).

فطاعة رسول الله طاعة تامة في كل أوامره ونواهيه من أهم حقوق تلك الشهادة، ومعصيته في أي شيء ضعف في تلك الشهادة، أو كفر بها إن كانت تكذيبا لما جاء به ولو كان شيئا واحدا، لأنه لا ينطق إلا صدقا وحقا.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى).^{١٨}

١٨- البخاري-ج ٩-ص ٩٢-ح رقم (٧٢٨٠). ت: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة.

وإن أي رفض وعدم قبول لأي أمر أو نهي لرسول الله أو بما قال في حكم من الأحكام وبما شرع يُعد من نواقض تلك الشهادة، ومن نواقض الإيمان.

وهذه الطاعة التامة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم هي الصفة الذي تميز به الصحابة وسلف الأمة، وهي طاعة وصلت فيهم إلى الحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استوى ذات يوم على منبره يوم الجمعة فقال للمسلمين "اجلسوا"، وكان عبدالله بن مسعود عند باب المسجد فجلس مكانه على باب المسجد حيث سمع من رسول الله أمره "اجلسوا" ولم يدخل المسجد، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تعال يا عبدالله بن مسعود.^{١٩}

أما عبدالله بن رواحة فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالطريق يقول: "اجلسوا"، فجلس في الطريق، فمر به النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: ما شأنك؟ قال: سمعتك تقول "اجلسوا" فجلست، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: زادك الله طاعة.^{٢٠}

فهذا شيء من طاعة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم له، فقد كانوا لا يحيدون عن أمر أو نهي صدر عنه، وكانت كل أوامره عندهم صغیرها وكبیرها واجبة الطاعة فيها من أول ما يأمر بها.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَقِّلٍ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَخْذِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَيَّ عَنِ الْخَذْفِ، أَوْ كَانَ يَكْرَهُ الْخَذْفَ وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يُصَادُ بِهِ صَيِّدٌ وَلَا يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ» ثُمَّ رَأَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ هَيَّ عَنِ الْخَذْفِ أَوْ كَرِهَ الْخَذْفَ، وَأَنْتَ تَخْذِفُ لَا أَكَلِمَكَ كَذَا وَكَذَا.^{٢١}

وعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَا تَمْنَعُوا النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِاللَّيْلِ "، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، لَا نَدْعُهُنَّ يَخْرُجْنَ فَيَتَّخِذْنَهُ دَغَلًا. قَالَ: فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ غَضَبًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَلَطَمَ

١٩- سنن أبي داود-ج ١ - ص ٢٨٦ - ح رقم (١٠٩١). ت. محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
٢٠- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني-ج ٣-ص ٢١١- ح رقم (٥٣٦٧)- ت: حبيب الرحمن الأعظمي. المجلس العلمي - الهند.
٢١- البخاري-ج ٧-ص ٨٦- ح رقم (٥٤٧٩). ت. محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة.

صَدْرُهُ وَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا، مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَقَالَ: أُخْبِرْكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقُولُ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ؟ قَالَ: فَمَا كَلَّمَهُ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى مَاتَ.^{٢٢}

كان عمرُ بن الخطاب رجلاً غَيُورًا، وكان إذا خَرَجَ إلى الصلاةِ اتَّبَعَتْهُ عاتكةُ بنت زيد، وكان يكره خروجَها، ويكره مَنَعُها، وكان يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا استأذَنَكم نساؤُكم إلى الصلاة فلا تَمْنَعُوهُنَّ»^{٢٣}

فطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة، وما يأمر به يجب أن يُتَّبَعَ ولو كان ذلك يخالف طبع الإنسان أو خُلُقِهِ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بالخير من كل مسلم، وإذا أمر ألا تمنع النساء من الذهاب إلى المسجد ففي ذلك خير لها وللأمة من منعها بحجة الغيرة عليها أو بأي حجة أخرى. وهذا ما يجب أن يؤمن به كل مسلم؛ وهو أن ما شرعه الله ورسوله هو الحق وهو الخير وإن خالف ذلك ما نعهده حسنا مثل الغيرة.

٢٢- الجامع الصحيح للسنن والمسانيد لـ صهيب عبد الجبار - ج ١ - ص ٣٧٥.

٢٣- مسند الفاروق لـ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير - ج ١ - ص ١٨٥ - ت: إمام بن عي بن إمام. دار الفلاح، الفيوم - مصر.

محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم من لوازم الإيمان، وكيف يجتمع الإيمان والإسلام مع بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب رجل.

وعلى قدر إيمان العبد بالله تكن محبته لله ولكل ما يحبه الله. ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو أحب خلق الله إليه، ولقد قرن الله بين اسمه واسم رسوله في المحبة فقال سبحانه: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (التوبة: ٢٤).

وهذه الآية أكبر دليل على وجوب محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم محبة قلبية حقيقية، ودليل ذلك أن الله قرن محبته ومحبة رسوله بمحبة الأبناء والأزواج والأهل والأموال وغيرها، وأمر أن تكون محبته ومحبة رسوله الكريم أشد من كل ذلك. والدليل الثاني أن هذه المحبة لا تكون حقيقية إلا إذا صدقها العمل وإلا كانت ادعاءً كاذباً. فلا يمكن لأحد أن يقول إنه يحب الله ورسوله أكثر من أي شيء ثم إذا تعارض شيء من الدنيا مع أوامر الله ورسوله قدم المرء ما يحب من أمر الدنيا ثم يدعي بعد ذلك حبه لله ورسوله أكثر من أي شيء.

وفي الآية السابقة توعده الله فيها من يقدم حب أي شيء على الله ورسوله فقال سبحانه {فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}، ثم فسقهم بتمام الآية.

وإذا كان المرء صادق المحبة لأحد فهو يرضى لرضاه ويغضب لغضبه، ويحزن ويغضب إذا أودى. وعلى قدر شدة تلك المحبة يكون غضبه ورضاه فيه. ولذلك فعلى قدر حب المسلم لله ورسوله حبا حقيقيا تكون قوة إيمانه، وعلى قدر حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ما يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبعه، ويغضب لما يغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجره، ويشتد غضبه إذا أودى صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام ابن القيم في نونيته:

شُرْطُ الْمَحَبَّةِ أَنْ تَوَافِقَ مَنْ تَحَبُّ

عَلَى مَحَبَّتِهِ بِلَا عَصِيَانٍ

فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ مَعَ خِلَافِكَ

مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانٍ

أَتَحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي

حُبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ

وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ

أَيْنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ

وكيف لا يُحِبُّ الله ورسوله؛ أفلم يخلقك الله وقد كنت عدما، وجعل لك حياة ووجودا، ثم أنعم عليك وأسبغ عليك من كل النعم، وظللت تتقلب في نعمه من وقت ما كنت في بطن أمك فأطعمك وسقاك، حتى كبرت فلم يفرض عليك شيئا ولم يكتب عليك سيئة واحدة حتى بلغت، فلما بلغت لم يطلب منك إلا حُسن طاعته وعبادته ويسر عليك كل ذلك، فأحل الله لك كل الطيبات من الرزق ومن زينته التي أخرجها وأحلها لعباده. ثم بعث لك خير خلقه وأزكاهم نفسا وأعظمهم رحمة وخُلقا ليدلك على الخير والهدى حتى لا تضل عن الطريق القويم، وحتى لا يُضلك الشيطان عن ربك ويوقعك معه في نار جهنم، وقد بذل النبي لك كل نصيحة إن أخذت بها أفلحت ونجحت، وكان صلى الله عليه وسلم قدوة في كل شيء، وفي كل شيء كان نبراسا للهدى والحق لا يعلوه شيء، ليسهل عليك الالتزام على الصراط فلا تنحرف عنه بإفراط أو تفريط.

أمثلة من محبة الصحابة والسلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

في قصة قتل زيد بن الدثنة وكان قد أسره المشركون غدرا يوم الرجيع وباعوه لأهل مكة، قال ابن إسحاق:

وأما زيد بن الدثنة فابتناعه صفوان بن أمية ليقبله بأبيه، أمية بن خلف، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له، يقال له نسطاس، إلى التنعيم، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه. واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان ابن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه، وأنت في أهلِكَ؟ قال: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه

تصيبه شوكة تؤذيه، وأنى جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمد^{٢٤}.

وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين.

قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل^{٢٥}.

وسئل علي بن أبي طالب: كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا، وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ^{٢٦}.

٢٤- السيرة النبوية لابن هشام-ج٢-ص١٧٠-ت: مصطفى السقا. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

٢٥- الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل القاضي عياض-ج٢-ص٢٢. دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع

٢٦- نفس المصدر السابق

الاعتداء به صلى الله عليه وسلم.

كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتركون السنة لأنها سنة تعظيما وحبا لصاحبها، وأما نحن فنتركها لأنها سنة لا عقاب على تركها!!

كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتركون السنة من فرط حبهم واتباعهم لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن شدة إيمانهم وعلو همتهم في طلب الآخرة ومرضاة الله سبحانه وتعالى، حتى إن منهم من كان يتتبع مواضع راحته في السفر فينزل فيها، وأما نحن فقد ضعف إيماننا وظننا أننا سننال أعلى درجات الجنة مع ضعف همتنا وعزيمتنا في مرضاة الله سبحانه وتعالى وضعف تأسينا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن بني آدم كلهم جُبلوا على التقليد والاتباع، فتقلد كل فئة منهم زعيمها أو رئيسها أو قدوتها في اللباس والمأكل والكلام، أو يقلدون أهل الدين فيهم في عبادتهم ونسكهم، وتجد ذلك في النصارى واليهود وفي المشركين والكافرين، وحتى تجد ذلك أيضا في الملحدين والشواذ الذين تمردوا على فطرة الله تعالى، فتجدهم يتجمعون باتفاق وبلا اتفاق على طريقة واحدة، ويقلدون أعظمهم انحرافا في هذا الأمر الذي اجتمعوا عليه. وهم جميعا يتوارثون ذلك التقليد حتى يجعلوه دينا بينهم، وفي هذا يقول الله تعالى (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ) (الزخرف: ٢٣) وكل ذلك من التأسى في الباطل واتباع الناس على السوء.

فابن آدم قد جبل على التقليد والاتباع، وجبل أيضا على التفكير والابتكار. ولذلك فمع أن كل فئة من أهل الشر والانحراف والشذوذ يقلدون بعضهم لكنك تجدهم أيضا يتنافسون في التمادي في هذا الانحراف دون أن يخرجوا عما اجتمعوا عليه من ضلال وعن الأسس التي يقوم عليها ضلالهم، وإلا لم يُحسب من يفعل ذلك عليهم أو منهم.

وهكذا يجب أن يكون حال المؤمنين أيضا؛ فالله قد اختار لهم خير خلقه رسولا، وجعله نبيا معصوما وأمرهم باتباعه والاستئذان بسنته، وأن يلتزموا هديه ولا يخرجوا عنه حتى يدخلوا في فئة الذين أنعم الله عليهم من الصالحين، وحتى يكونوا تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

فأما ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه من الفرائض والنواهي فلا ينبغي تجاوزها، وفيهما طاعته بلا اعتراض أو حرج في الصدر، وكذلك هديه لا ينبغي الخروج عنه. وأما سننه فهي موضع تنافس المؤمنين في الخير، يقول تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (آل عمران: ١٣٣)، {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} (الحديد: ٢١).

ويقول الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب: ٢١).

فالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم صفة المؤمنين الذين يرجون ثواب الله ومرضاته ويستعدون لليوم الآخر. وأما من رغب عن سنته وهديه فلا يمكن أن يكون من أولئك.

ومن ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل له هذيا خاصا في العبادة أو المعيشة لا توافق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رغب عن سنته، ومن رغب عن سنته فليس من رسول الله في شيء. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: “فمن رغب عن سنتي فليس مني”^{٢٧}

إن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به والأخذ بسنته وهديه هو دليل المحبة الصادقة لله، فلا يكن محبا لله بزعمه إلا من كان متبعا لرسوله ومهتديا بهديه. يقول الله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} (آل عمران: ٣١).

وبقدر إيمان المؤمن ورغبته في ثواب الدار الآخرة يكن حرصه على اتباع نبيه ورسوله. ولذلك كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا أشد الناس إيمانا بعده صلى الله عليه وسلم وأشد الناس رغبة في الحياة الآخرة وخوفا من النار.

٢٧- البخاري- ج٧- ص٢- ح رقم (٥٠٦٣). ت محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة.

فالتأسي برسول الله من علامات الإيمان ومقدار التأسي به علامة على شدة إيمان المؤمن، كما أن الرغبة عن سنته علامة على النفاق.

عن أبي سعيد الخدري قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ، قَالَ: «مَا حَمَلَكُم عَلَى إلقاء نِعَالِكُم»، قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ جِبْرِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذْرًا -أَوْ قَالَ: أَدَى-" وَقَالَ: "إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ: فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَذْرًا أَوْ أَدَى فَلْيَمْسَحْهُ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا"^{٢٨}

عن أنس رضي الله عنه قال: إِنَّ حَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُبْزًا وَمَرَقًا، فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَتَتَبَعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالِي الْقِصْعَةِ»، قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ»^{٢٩}

٢٨- سنن أبي داود-ج ١-ص ١٧٥-ح رقم (٦٥٠). ت محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
٢٩ البخاري-ج ٣-ص ٦١-ح رقم (٢٠٩٢). ت محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة.



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد البريات، وعلى آله وصحبه أنجم الهدايات، ومن سار على نهجه إلى يوم بعث الأموات.

وبعد،

فإن من أعظم ما نزل في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله قرن بين حقه سبحانه وتعالى في الإيمان به وتسبيحه وحقه صلى الله عليه وسلم من الإيمان به وتعظيمه وتوقيره في آية واحدة، وأخبر قبلها أنه تعالى ما أرسله بشيرا ونذيرا إلا للقيام بتلك الحقوق. فقال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح: ٨، ٩).

واللام في قوله تعالى: (لتؤمنوا) هي لام التعليل، فرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أرسله الله تعالى ليدعوا الناس إلى القيام بحق الله عز وجل، وبحقه صلى الله عليه وسلم أيضا، لأن الله تعالى اختاره واصطفاه لأداء رسالته سبحانه، وجميع المؤمنين مأمورون بأداء تلك الحقوق كاملة غير منقوصة. إن هذه الآية الكريمة لتبين بجلاء عظم قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى، ومقدار ما يجب على كل مؤمن تجاهه صلى الله عليه وسلم من التوقير والاتباع والتعظيم والطاعة والمحبة التي تترتب بداية على الإيمان به أنه رسول رب العالمين. إن المؤمن ليقوم بتلك الحقوق بقدر ما وقر في قلبه من الإيمان، وإن مقدار تلك الحقوق في قلب كل مؤمن هو مقياس إيمانه، ولذلك كان أبو بكر رضي الله عنه أعظم المؤمنين إيمانا؛ لأنه كان أعظمهم حبا واتباعا وطاعة وتوقيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فاعلم أخي المسلم:

أن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حق الله تعالى، وأنت لا تقوم بحق الله تعالى إلا مع القيام بكل حق من حقوق رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنت إن أضعت حقا واحدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أضعت حق الله تعالى، ولن ينفعك ما قدمته من عمل مهما بلغ! وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



- ١ مقدمة
- ٢ كلمة "أشهد"
- ٣ كلمة "رسول !!"
- ٧ إنه رسول ﷺ
- ٩ محمد صلى الله عليه وسلم
- ١٢ حق كلمة "أشهد أن محمداً رسول الله"
- ١٣ تعظيم رسول ﷺ صلى الله عليه وسلم
- ٢٠ محبة رسول ﷺ صلى الله عليه وسلم